

٨ - الرواية المسرحية

في الفن والتاريخ

بقلم أحمد حسن الزيات

تحليل موهج للأشهر المآسى

(Phèdre) : موضوعها أسطورة من أساطير الأغريق في عهد الحروب الطروادية ، وأهم أشخاصها تيزيه بن ايجيه ملك أثينا ، وفدر امرأة تيزيه وبنت مينوس ، وهيوليت بن تيزيه من اثيوب ملكة الأمازون ، وأريسي أميرة من أميرات أثينا ، وتيرامين مشير هيوليت ، وأونون مرضعة فدر ونجيتها . وقد وقعت حوادثها في تيزين إحدى مدن (يوليونيوز) وملخصها أن فدر امرأة تيزيه تبوح إلى مرضعتها (أونون) بهواها الدخيل وحبا المضر لميوليت بن زوجها ، ويستفيض الخبر في الناس فجاء أن تيزيه قتل في أثناء رحلته ، فهتبل هذه الفرصة فدر ، وتعلن إلى هيوليت غرامها ، فيقابل إعلانها بالدهش والاباء ، ويظل غملاً لحبيته أريس . ثم يعلمون أن الملك حي وأنه قدم المدينة ، فتياس فدر من هيوليت ، ويتسمر قلبها بالغيرة ، ومعها الندم ووخز الضمير . فتخجل من لقاء الملك وتفر من وجهه ، وتظن أن هيوليت سيفضى إلى أبيه بما كان منها فتترك أونون تؤلف المكيدة له ، وتدبر الوقيعة به ، فتهمه عند أبيه بمراودة سيدتها عن نفسها فيثور نأر الملك فينقى ابنه ، ويكله إلى غضب (نبتون) . ويستيقظ ضمير فدر ، فتفجر بالعنة والعقوبة على مرضعتها الأثيمة ، ويرجع تيرامين فيقص على الملك في أسلوب بليغ مؤثر جوح الجوادين بمركبة هيوليت ، وموته تلك الميتة الشنيعة . فيجزع الملك ، وتقوم الأدلة على براءة ابنه مما اقترف به ، فيتضاعف الحزن وبجل الخطب ، فيذهب إلى فدر يسألها جليلة الأمر ، فتعترف له بخيانتها ، وقد كانت من قبل قد شربت سماً فيفعل في جسمها ، ولا تلبث أن تلفظ نفسها على السرح .

أشهر مآسى فولتير اثنتان وهما : (زير) و (زيروب) : (زير Zaire) : موضوعها ذكرى من ذكريات الحروب الصليبية ، وقعت حادثتها لفتاة مسيحية أخذها أحد فرسان المسلمين في سبيته منذ طفولتها فرباها وأراد أن يتزوج منها ، ولكنها عرفت أباه وأخاها وهي على وشك الزفاف فأغريها بالتصر ، وهذه الساسة مكتوبة على مثال عطيل لشكسبير . لأنها أهم أشخاصها فهم : أورسمان وهو سوداني من سكان أورشليم وخطيب زير ، ولوزينيان أحد أمراء أورشليم وابنته زير وابنه نيرستان ، وثلاثتهم من أسرى صلاح الدين ، وشانيليون فارس فرنسي ، وفاطمة جارية من جوارى السوداني ، وقد وقعت هذه المساة في أورشليم .

فى الفصل الأول : تبوح زير لفاطمة بسر زواجها المقبل من السوداني . فتذكرها الجارية أنها مسيحية . وكان نيرستان قبل ذلك قد نال الأذن من مولاه أورسمان أن يذهب إلى فرنسا ليأتى بالفداء له ولعشرة من الأسرى . فيعود ويطلب من أورسمان فك رقبة زير وفاطمة وعشرة فرسان من الأسرى . فتفعل هذه الأرمجة في نفس الأمير ، فيمنحه مائة أسير ليس فيهم زير ولا لوزينيان .

وفى الفصل الثاني : تريد زير أن تقضى نيرستان حق الشكر على سروته وقضله ، فتحمل أورسمان على إطلاق سراح لوزينيان . فيتحرر هذا ، ولكنه يعرف ابنته زير بصليب قد احتفظت به ، وابنه نيرستان بأرجح فيه . ويأخذ المقيم المقدم من الهم والحزن حين يعلم أن ابنته مسلمة ، ولكن زير ترمى في أحضان أبيها ، وتعهده أن تنتصر .

وفى الفصل الثالث : يلتقي نيرستان أخته ، وبنى إليها لوزينيان أباه ، ويحضاها على أن تعجل باعتناق النصرانية . فتوافقته على ذلك ، وتقسم له أنها لن تتزوج من أورسمان . ويأتى هذا بعد قليل يطلبها إلى المسجد^(١) ليعقد عليها ، فتستعمله ربنا تدبر وسيلة للحرب .

وفى الفصل الرابع : يمهلها أورسمان يوماً للأستعداد للزواج . وفى غضون تلك المهلة يرسل نيرستان كتاباً إلى أخته ، يرشدها فيه إلى طريق الحرب ، ويدلها على باب سرى تنجو منه ، فيقع

(١) ليس من عادة المسلمين أن يحتفلوا بالزواج في المسجد كما يحتفل به المسيحيون في الكنيسة ، وإنما هنا قياس من فولتير ورطه فيه جهل بالعادات الإسلامية فأساء به إلى شرط اللون المحلى أيضاً .

أن تحكم عليه . ومع ذلك تستفيض الاشاعة في الناس أن يجسط قد قتل ، وأن قاتله هو ذلك الشاب الغريب . وأقوى الأدلة على حدوث القتل منه أن سلاح القاتل معه ، فيستولى الهم والياس على الملكة .

الفصل الثالث : تعزم الملكة الرأى على قتل الشاب ، وتحرص على أن تقتله بيدها انتقاماً لولدها واطفاء لكبدها . وبينما هي ترفع يدها بالضربة القاضية عليه يقبل رباب لحسن الحظ في الوقت المناسب فيمنع الضربة ، ويفشى لها سر هذا الغريب ، ويخبرها أن القاتل الحقيقي لزوجها هو بوليفونت .

الفصل الرابع : يدهش بوليفونت أن التهم لا يزال حياً يرزق ، ويرتاب في أمر هذا الغلام ، ويرى ميروب مقبلة فيأمر حراسته أن يضربوا الساعة عنق هذا الغريب ، فيضيق ذرع ميروب وتميها الحيلة ويغلبها الجزع ، فتصيح بالجند : ويحكم أيها البرابرة ، كفوا إنه ابني !

الفصل الخامس : يقبل بوليفونت أن يبقى على الولد إذا رضيت أمه أن تكون له زوجة . ولا ترى الأم بدا من الخضوع لقاتل زوجها ابقاء على ولدها ، ويذهب الناس جميعاً الى الهيكل ليحتفلوا بعقد الزواج ، ويأخذ الناس فيما هم فيه ، ويتقدم ليجسط الى الهيكل يريد أن يقسم بين الطاعة للملك ، فيأخذ مديدة القربان ويظن بها بوليفونت طعنة بجلاء فيصرعه ، ويهتف الشعب بمد تردد قليل للملكة وابن ملكة .

يأخذون على هذه القطعة الرائعة ، بمد الأماكن في بعض الحوادث ، فيسألون كيف يقتل بوليفونت الملك ، ثم يسير ستمه في الناس خمسة عشر عاماً بأنه المنتقم له ؟ وكيف يتهم الفتى القادم الى مسينا بقتل يجسط وهو نفسه يجسط ؟ ولماذا تريد ميروب أن تقتل بيدها هذا الغلام ؟ ! والجاذبية مع قوتها لم تسر نامية ، فان الخطر الذي حاق بجسط ساعة أن همت أمه بقتله في ختام الفصل الثالث أقوى من الخطر الذي يهدده في الحل .

وكان في النية أن أختار نماذج من مآسى شكسبير إلا أن ما اخترناه لغيره قد كثر حتى حبسنا طويلاً عن الموضوع ، فلنكتف بماشاع له في مصر من ملخص مترجم ، ولناخذ فيما نحن بسبيله .
جمع .
(الزيات)

هذا الكتاب في يد أورسمان ، فيظن أن نيرستان يزاحمه في حب زير وهو يحاول الفرار بها . فيعد الوسائل للقبض عليه .

الفصل الخامس : وفي جنح الليل البهيم تتسلل زير الى المكاتب الذي دلها أخوها عليه ، وتناديه فلا يجيبها غير أورسمان بطعنة بجلاء بمنجبره ، ويسحب نيرستان في السرح الى موضع الجثة ، فيصيح الأخ المنكود : وأخطاه !! فيعرف أورسمان خطاه ، ويمتلج في صدره الندم والياس فينتحر .

يأخذون على هذه القطعة فقدان اللون المحلى منها في دورى زير وأورسمان . فقد يجيل الى من يسمع تلك العواطف التي أكتنأها وشرحاها ، أهما من المختلفين الى أندية السم الأوربي في القرن الثامن عشر ، فضلاً عن أنه جعل ذلك الأمير الكريم الحليم الوديع ينتقل فجأة الى جنون النصب لرؤيته رسالة لم يتحقق ما فيها .

(ميروب Mirope) موضوعها استيلاء اجسط بن ملك مسينا على العرش ، ومدارها على انتصار الحب ، وأهم أشخاصها : ميروب أرملة كريفونت ملك مسينا، وولدها اجسط، وبوليفونت قاتل الملك ، ورباب خادم كريفونت الخ . وقد وقعت حوادث هذه المساة في مسينا .

الفصل الأول : قبل خمسة عشر عاماً من ابتداء المساة قتل كريفونت هو وولناتن من أولاده في ثورة . أما اجسط ثالث بنيه فقد أتقنه من الذبحة رباب خادم أبيه ، ونجا به في بلد غريب ، وكان القاتل هو بوليفونت ؛ وقد استطاع أن يكتم سر الجريمة خمس عشرة سنة ، فيبدأ الفصل بتحريرى احدى الوصيفات ميروب على المطالبة بحقها في العرش ، وهي تترقب قدوم ولدها الغائب ، ولكن الشعب يصمم على انتخاب ملك ، ويفاضل الآن بينها وبين بوليفونت . ويوم بوليفونت الشعب أنه المنتقم للملك ، فيفضلونه وينصبونه عليهم ملكاً . ويريد هو أن يجعل ملكه شرعياً فيحاول الاقتران بميروب فترفض وتطالب بحق ولدها ، فيرسل طعنة من السفاكين يبحثون عن اجسط ليقتلوه .

الفصل الثاني : وفي أثناء ذلك يقدم الى المدينة شاب فيتهم بقتل اجسط ويساق الى قصر الملك ، وتسمع بأمره ميروب فتشفق أن يكون ابنها فتغرب في أن تراه وتسأله هي بنفسها ، فيجيب الفتى على أسئلتها في طهارة قلب وسلامة ضمير ، فتأبي